الصباح الإسلامية
09
العدد 3918 - السنة الثالثة عشرة
الخميس 27 رجب 1442 - الموافق 11 مارس 2021
Thursday 11 March 2021 - No.3918 - 13 th Year

الشافعي أمير شعراء الحكمة

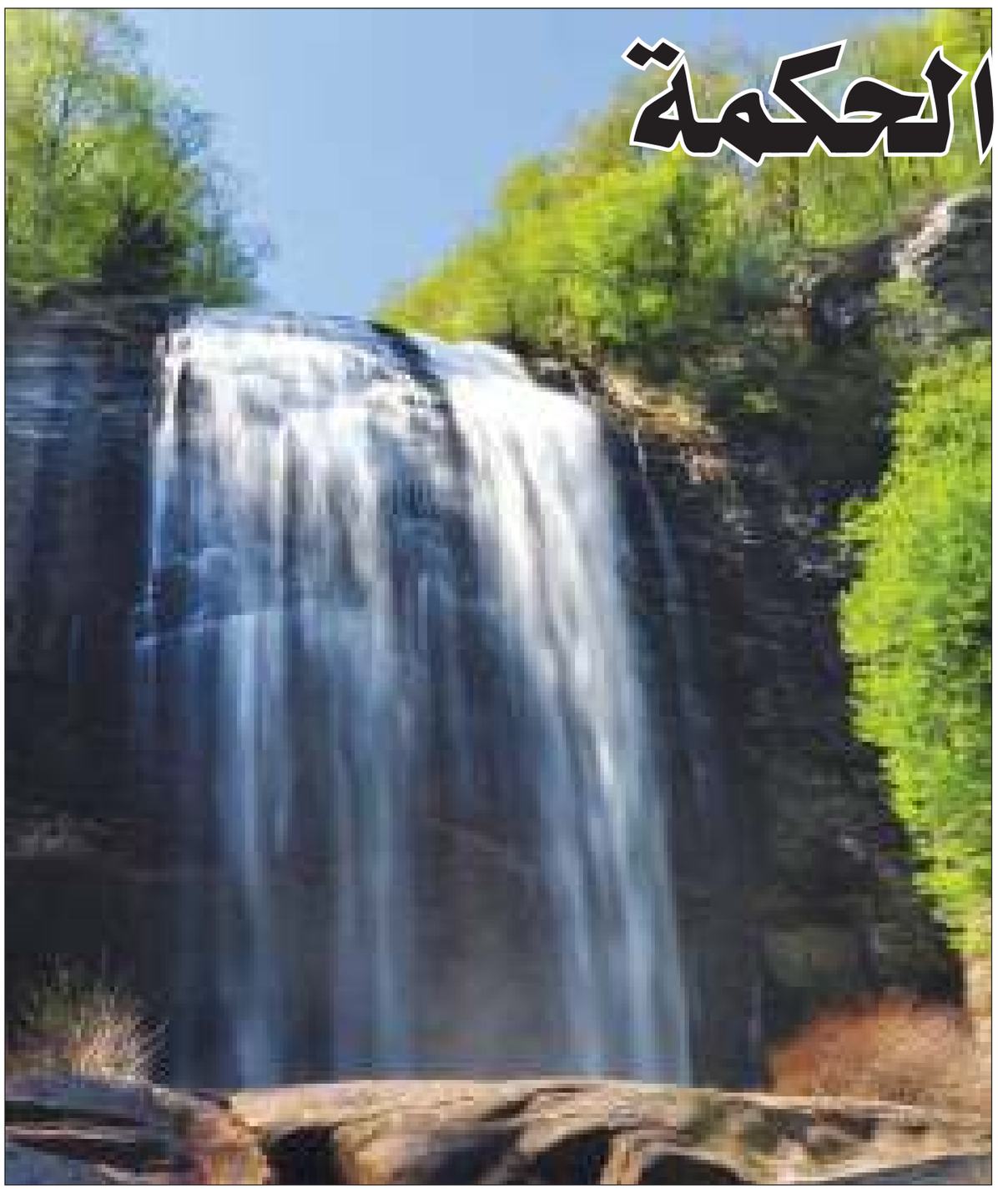

لقد تربع الإمام الشافعي على عرش إمارة الحكمة في الشعر العربي طوال أربعة عشر قرناً ولم ينجب الزمان له مثيلاً اذا ما استثنينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرام ومن على منوالهم ممن كانوا روادا في العلم ... الإمام علي باعتباره باب مدينة العلم والشجاعة والحكمة في عصر النبوة الزاهر.

ولعل إضافة الأبيات التالية للشافعي تثري المائدة الشعرية المنثورة أدناه.. وقد تدفعنا الى حفظ أبيات الحكمة والزهد والمديح النبوي التي جاء بها أبو تمام وأبو العتاهية والبوصيري وأحمد شوقي وغيرهم بعد عصر الشافعي.. فلنقرأ للشافعي في نصائحه وحكمه البليغة قوله:

إذا المرء

إذا المَرءُ لا يَرعاكَ إلّا تَكَلُّفاً
فَدَعْهُ وَلا تُكْثِر عَلَيهِ التَأَسُّفَا
فَفِي النّاسِ أبْدالٌ وَفي التَّرْكِ رَاحَةٌ
وَفي القَلبِ صبرٌ لِلحَبيبِ ولو جَفَا
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهوَاهُ يَهْوَاكَ قلبُهُ
وَلا كلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إذا لم يكن صَفْوَ الفؤادِ طبيعةً
فلا خيرَ في وُدٍّ يَجِيءُ تَكَلُّفَا
ولا خيرَ في خِلٍ يخونُ خَليلَهُ
ويَلقاهُ مِنْ بعدِ المودّةِ بالجَفَا
وَيُنْكِرُ عَيْشاً قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَيُظْهِرُ سِرّاً كانَ بالامسِ قَدْ خَفَا
فَسَلامٌ على الدُّنيَا إذا لَمْ يَكُنْ بِهَا
صديقٌ صدوقٌ صادقُ الوعدِ مُنْصِفَا

واسمع الى قوله المتوازن والمعتدل في النظرة لأهل البيت والصحابة:

اهل البيت

إنْ كان رفضاً حبُّ آلِ محمد
فليشهدْ الثقلاَن أنّي رافضي

وعلى منواله:

أو كان نصباً حُبُّ صَحْبِ محمد
فليشهدْ الثقلان أنّي ناصبي

أحب الصالحين

أحب الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي
ولو كنا سواء في البضاعة

يخاطبني السفيه

يخاطبني السفيه بكل قبح
فأكره أكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما
كعودٍ زاده الإحراق طيبا

شكوت إلى وكيع

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنّ العلم نورٌ
ونور الله لا يُهدى لعاصي

تموت الأسد

تموت الأسد في الغابات جوعا
ولحم الضأن تأكله الكلاب
وذو جهل ينام على حرير
وذوّ علمٍ مفارشه التراب

ثمن الثياب

عليّ ثيابٌ لو يباع جميعها
بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها
نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر السيف إغلاق غمده
إذا كان عضبا أينما وجهته فرى

نعيب زماننا

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضاً عيان

الدهر يومان

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر
والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف
وتستقر بأقصى قاعه الدرر
وفي السماء نجوم لا عداد لها
وليس يكسف إلا الشمس والقمر

نيل العلم

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ
سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ
وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

الصمت والنباح

قالواسكتّوقدخوصمتقلتُلهم
إن الجوابَ لباب الشر مفتاحُ
والصمتُعنجاهلأوأحمقشرفاً
وفيه أيضاً لصُونِ العرضِ إصلاحُ
أماترىالأسْدتُخْشىوهيصامتةٌ
والكلبُ يُخْشى لعمري وهو نبّاحُ
اذا رمت ان تحيا سليما من الاذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك مساوئ
فدعها وقل يا عين للناس أعين
فلا ينطقن منك اللسان بسوأة
فكلك سوءات وللناس ألسن
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
ودافع ولكن بالتي هي أحسن

شرح الصدر وصلاح القلب

قال ابن القيم الجوزية رحمه الله «فأعظم أسباب شرح الصدر»:

1 – التوحيد: وعلى حسب كماله، وقوته، وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه. قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ (الزمر: 22).

وقال تعالى: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ (الأنعام: 125).

فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه، ويفرح القلب. فإذا فقد هذا النور من قلب العبد، ضاق وحرج، وصار في أضيق سجن وأصعبه.

وكذلك النور الحسي، والظلمة الحسية، هذه تشرح الصدر، وهذه تضيقه.

2 – العلم: فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد، انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل للعلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدراً، وأوسعهم قلوباً، وأحسنهم أخلاقاً، وأطيبهم عيشاً.

3 – الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك. حتى إنه ليقول أحياناً: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحالة، فإني إذاً في عيش طيب.

وللمحبة تأثيرٌ عجيبٌ في انشراح الصدر، وطيب النفس، ونعيم القلب، لا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشد، كان الصدر أفسح وأشرح، ولا يضيق إلا عند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشأن، فرؤيتهم قذى عينه، ومخالطتهم حمى روحه.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر: الإعراض عن الله تعالى، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، فإن من أحب شيئاً غير الله عذب به، وسجن قلبه في محبة ذلك الغير، فما في الأرض أشقى منه، ولا أكسف بالاً، ولا أنكد عيشاً، ولا أتعب قلباً، فهما محبتان: محبة هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح، وغذاؤها، ودواؤها، بل حياتها وقرة عينها، وهي محبة الله وحده بكل القلب، وانجذاب قوى الميل، والإرادة، والمحبة كلها إليه.

ومحبة هي عذاب الروح، وغم النفس، وسجن القلب، وضيق الصدر، وهي سبب الألم والنكد والعناء، وهي محبة ما سواه سبحانه.

4 – دوام ذكره على كل حال: وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثيرٌ عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

5 – الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، والجاه، والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم هماً وغماً.

6 – الشجاعة: فإن الشجاع منشرح الصدر، واسع البطان، متسع القلب، والجبان: أضيق الناس صدراً، وأحصرهم قلباً، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له، ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأما سرور الروح، ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرمٌ على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل، وعلى كل معرض عن الله سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به وبأسمائه تعالى وصفاته، ودينه، متعلق القلب بغيره. وإن هذا النعيم والسرور، يصير في القبر رياضاً وجنة، وذلك الضيق والحصر، ينقلب في القبر عذاباً وسجناً. فحال العبد في القبر، كحال القلب في الصدر، نعيماً وعذاباً وسجناً وانطلاقاً، ولا عبرة بانشراح صدر هذا لعارض، ولا بضيق صدر هذا لعارض، فإن العوارض تزول بزوال أسبابها، وإنما المعول على الصفة التي قامت بالقلب توجب انشراحه وحبسه، فهي الميزان.. والله المستعان.

7 – إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة: التي توجب ضيقه وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء، فإن الإنسان إذا أتى الأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه، لم يحظ من انشراح صدره بطائل، وغايته أن يكون له مادتان تعتوران على قلبه، وهو للمادة الغالبة عليه منهما.

8 – ترك فضول النظر، والكلام، والاستماع، والمخالطة، والأكل، والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل آلاماً وغموماً، وهموماً في القلب، تحصره، وتحبسه، وتضيقه، ويتعذب بها، بل غالب عذاب az الدنيا والآخرة منها.

فلا إله إلا الله ما أضيق صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه، وما أسوأ حاله، وما أشد حصر قلبه، ولا إله إلا الله، ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة بسهم، وكانت همته دائرة عليها، حائمة حولها، فلهذا نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ (الانفطار: 13) ولذلك نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿ وإن الفجار لفي جحيم ﴾ (الانفطار: 14) وبينهما مراتب متفاوتة لا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى.

9 – متابعة النبي صلى الله عليه وسلم: وعلى حسب متابعته ينال العبد من انشراح صدره وقرة عينه، ولذة روحه ما ينال، فهو صلى الله عليه وسلم في ذروة الكمال من شرح الصدر، ورفع الذكر، ووضع الوزر.

10 – للصدقة وفعل المعروف أثر عجيب في شرح الصدر.

صناعة الحب عند أصحاب الرسول

عطش أبو بكر الصديق

قال أبي بكر رضي الله عنه: كنا في الهجرة وأنا عطشان جدا، فجئت بمذقة لبن فناولتها للرسول صلى الله عليه وسلم، وقلت له: اشرب يا رسول الله، يقول أبو بكر: فشرب النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتويت !! أجل (حتى ارتويت) الكلمة صحيحة ومقصودة، فهكذا قالها أبو بكر الصديق.

فهل حقا ذقت جمال هذا الحب؟ انه حب من نوع خاص ..!! أين نحن من هذا الحب!؟

حب النبي

واليك هذه ولا تتعجب، انه الحب.. حب النبي أكثر من النفس ، يوم فتح مكة أسلم أبو قحافة (أبو سيدنا أبي بكر)، وكان إسلامه متأخرا جدا وكان قد عمي، فأخذه سيدنا أبو بكر وذهب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه ويبايع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يا أبا بكر هلا تركت الشيخ في بيته، فذهبنا نحن إليه» فقال أبو بكر: لأنت أحق أن يؤتى إليك يا رسول الله وأسلم أبو قحافة.. فبكى سيدنا أبو بكر الصديق، فقالوا له : هذا يوم فرحة، فأبوك أسلم ونجا من النار فما الذي يبكيك؟....تخيّل .. ماذا قال أبو بكر..؟

قال: لأني كنت أحب أن الذي بايع النبي الآن ليس أبي ولكن أبو طالب، لأن ذلك كان سيسعد النبي صلى الله عليه وسلم أكثر . سبحان الله ، فرحته لفرح النبي أكبر من فرحته لأبيه أين نحن من هذا الحب ؟

ثوبان رضي الله عنه

غاب النبي صلى الله عليه وسلم طوال اليوم عن ثوبان رضي الله عنه (وكان خادم الرسول) وحينما جاء قال له ثوبان: أوحشتني يا رسول الله، (وبكى) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أهذا يبكيك ؟ قال ثوبان: لا يا رسول الله ولكن تذكرت مكانك في الجنة ومكاني فذكرت الوحشة .. فنزل قول الله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (69) سورة النساء.

لا تكن أقل من جذع النخلة

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في مسجده على جذع الشجرة حتى يراه الصحابة قبل أن يقام له المنبر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقف ويمسك الجذع، فلما بنوا له المنبر ترك الجذع وذهب إلى المنبر... فسمع الصحابة للجذع أنينا لفراق النبي صلى الله عليه وسلم، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم الا انه نزل عن المنبر وعاد للجذع ومسح عليه ، وسمعه الصحابة يقول له : ألا ترضى أن تدفن هاهنا وتكون معي في الجنة؟ سبحان الله فسكن الجذع.

صورة وآية

تكوير الشمس

نرى في هذه الصورة التي التقطت لأول مرة عام 2000 من قبل وكالة الفضاء الأمريكية، نجماً في نهاية حياته، يقول العلماء عن هذا النجم: إنه يقدم عرضاً لما سيحدث للشمس في نهاية عمرها، حيث سيخفت ضوؤها. هذا النجم الباهت الذي يظهر في الصورة أمامنا يسمى عين القط، والدائرة الزرقاء توضح الغاز الحار الذي يطلقه النجم أثناء موته، وهو يبث هذا الغاز بسرعة 4 ملايين ميل في الساعة، مما يزيد في انخفاض ضوء النجم. يقول تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ × وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ) (التكوير: 1–2). انظروا إلى دقة البيان الإلهي، فالنجوم سوف تنكدر أي تصبح باهتة، وهذا ما نراه أمامنا في الصور، إنها معجزة تستحق التفكر!